

الملاك

للقصصى التشيكي كارل كابل
بقلم الأستاذ إبراهيم حنين العقاد

وراح يذرع حجرته جبهة
وذهباً واللقاق يسود نفسه لفساد
براميج أعداء لقضاء ليلته... لقد
أراد أن يقضيها مضجعا على المقعد
للطويل والكتاب في يده وضوء
المصباح المزيل يداخل نفسه
روح من الهدوء والاستقرار...
يا للمعجب! لطالما يرم بهذه

الضجبة وكرها في نفسه ولكن... لآى سبب
تراه قد أحبا الآن؟! أى سر غامض جعل هذا
الاحساس يسوده فيحب وحدته ويفضلها على كل
شئ وبخاصة في هذه الليلة التى وصلته فيها البرقية
التي أمسك بها في يده وهو تحت سلطان الفكرة
الجديدة الطارئة فغلبته رعوته من طفولته القديمة
وسرعان ما كان يحرقها إرباً؟!

ما أسرع ما بغيرنا الزمن.. وما أقصرها فترات
تلك التى يجملنا فيها نتحول من حال إلى أحوال!!
لقد تغير إحساس الشاب عند ما كان ينتظر في ذلك
الجو الرطب مقدم القاطرة التى تأخرت عن موعد
وصولها... ساد إحساس من الأسى والرثاء إذ كان
كل ما حواليه يوحى بالفاقة والفقر والبؤس... تلك
أشياء لمسها بحسمة في وجوه أولئك المنتظرين هباء
أو للقادمين وقد مستهم الضراء وعبث السكلال
بأجسادهم المزيلة المرهقة

ووسط زحام جوع القادمين استطاع أن يتمرف
كبان شقيقته الضامر وأن يلح وجهها للشاحب
وعينيها الشاردين وهى تسير منهاكة بجمر وراها
حقيقية كبيرة، جعله مرآها يعتقد أن شيئاً ما قد دم
شقيقته المزررة

غلبه الماء ثانية وهو يتناول غدائه وأحس
برأسه يكاد يتفجر فأسندته إلى راحة يده في الوقت
الذى انسحبت فيه مدبرة البيت رائية له وقد آثرت
تركه مضجعا على المقعد للطويل ناعماً — كما خيل
لها — براحة كانت في الواقع عذاباً كابد المسكين
قسوته.. فقلبه غير منتظم للضربات ومعدته قد
استعالت في ثقلها حجراً، وشعر وقد خارت منه
القوى برغبة في النوم ولكن... آه! لو أن الكري
وأناء وكل الشهاد عينيه!

ومرت ساعة عادت بمدبرتها مدبرة البيت تدق
بابه لتعطيه برقية فضها مسرعاً وقرأ:

٤٠ - ٧ × ١٠ - ١٩ أصل الليلة

« روزا »

أية ليلة تراها هذه الليلة؟! تلك كانت الفكرة
التي شغلته والتي وقف حيالها في حيرة والبرقية
في يده محاولاً أن يفسر طلائع أرقامها؟ وبعد جهد
استطاع أن يفهم أن شقيقته المتزوجة روزا ستصل
في قطار الليل وعليه أن ينتظرها فريماً حضرت
لشراء بعض حاجاتها ولكن... لمن الله تقيصة
التسرع في خلق للنساء! إذ حرمته دون مبرر بعض
راحة كان ينشدها

أرغم على سماعها خاصة بطريقة الزوج المباشرة وكيف يتناول الطعام ويقابل بالشر ما تسديه زوجته إليه من الخير، وإذا لها الدائم وتحبها والشاجرات التي تنشب بينهما في وحشة ! وأحس المسكين بموجات من الاشفاق تطنى عليه غيل إليه معها أنه من الذين أن يتحمل كل هذا دون أن يحتاج أو يحرك ساكنا

ونظر من خلال أساه إلى تلك للشابة المسكينة المهذبة التي غلبها الضنى وأذوى عودها المم وهي التي ما عرفت الخنوع ولا رضيت المهانة وعاشت مدلة محبوبة ثورية ذات كبرياء وأنفة ... هذه الفتاة التي كانت تناقش ولا تخضع لرأى ، والتي كانت عينها تنوهجان يبريق لامع يبرع عن الدكاء ... المسكينة ! تجلس الآن وقد جرفها سيل الحزن وفاضت مدامها ونهذج صوتها الطروب حتى كانت تتكلم بصعوبة لم تحتملها أعصاب جورج الذي صاح يريد إسكانها وهو يغالب أحاسيسه الرائية :

— كفى ... إننى أعرف كل شيء وخارت قوى المسكين ولم يستطع إتمام حديثه في الوقت الذي زاد فيه نشيج روزا وهي تقول :
— لا تقل هذا ... إننى ضالة في هذه الحياة ، وليس لى في هذه الدنيا سواك

واتسع المجال للبكاء فعلا صوتها وهي تقص مأساتها وما حدث لها وصوتها يتلون مع رهبة الحوادث وقسوتها ... وجفاة توقفت عن البكاء وسألت شقيقها :

— وأنت جورج ... كيف حالك ؟
— بالنسبة إلى أعترف لك أنى لا أستطيع

واستقل الشقيقان عربة أسرعت بهما إلى البيت دون أن ينسى خلال الطريق أن يمرض عليها البيت في فندق يستأجر لها إحدى حجراته إيماناً في توفير راحتها ولكنها لم تحبه إلا بسيل من الدموع علفت بعض قطراته بأهدائها فأمسك يدها الضامرة بيديه وراح في حنان يربت عليها . ولكم كانت سعادته عظيمة عندما اكتفى وجه المسكينة بإبتسامة مشرقة وهي تنظر إليه نظرة الممتنة الشاكرة ولكن سرعان ما تغير كل هذا عند ما وصلا المنزل وجلست روزا على المقعد الطويل تحوطها الوسائد ... كانت بادية الرجفة شاردة للنظرات فارتبها مرتمشة للشفتين مما روع شقيقها فأقبل عليها مستفسراً طالباً منها أن تكون في حديثها أكثر هدوءاً خشية أن تمزق سَكينة الليل وهي تكلمه في عصبية قاتلة :

— أقول لك إنى فررت ... هربت من زوجى ... آه ! لو أنه كان فى وسعك أن تتصور مدى آلام يقال كنت أنوء تحبها ولكن لا ... إنك لى تستطيع أن تصدق كم كان يكرهنى ... أخى ... لقد فررت ... هربت من بيت الزوجية وأنتيك طالبة نصيحتك وإرشادك ...

وانفجرت المسكينة تبكى بدموع غزيرة بينما تجهم وجه شقيقها جورج ، وراح يخطو داخل الحجرة في عصبية فائرة تصور خلالها حياة أخته مع زوج لا خلاق له يعتمد تقريبها وإهانتها أمام الخدم ... لا يعرف غير ملاهيه وملاذه يجول فيها ويصول ثم يقترب ويغل بدنه إلى عنقه إذا ما طالبت زوجته المسكينة ببعض ضروريات الحياة ... أية قصة تراها تلك التي

— كلا... أنت لا تعرف كيف كنت أعيش ...
 أى آلام كابدت حزانتها وأى تقريع كان يوقر
 أذنى ويضنى جسدى من أجل اللقمة التى كنت أتبلغ
 بها أو للكساء الذى كان يسترنى ... لا أستطيع
 أن أعمل !! كلا أنا واثقة من قدرتي على العمل
 وسترى بنفسك كيف سأخطو بنجاح وكيف
 سأكون سيدة فى حياة أتخيلها مظلة بالهدوء
 والأمن... سأجراحة النفس فى كسرة جافة أمسك
 بها رمقى وهدوء الضمير فى مكان خشن آوى إليه ...
 شجنى بكلمة ... قل إنه باستطاعتى أن أصبح إحدى
 النساء اللاتى يعملن ويجاهدن من أجل العيش ...
 وحتى لو ما كسنتى الظروف سألتحق بأحد المصانع ..
 ها أنت ذا ترى أنى عدت للأمر عدته تماماً ...
 أيتها السموات الرحيمة ! أى أمل برآق هذا
 الذى جعلته بداخل نفوساً محطمة !! لقد أحس
 جورج بالحجل يجلبه إذ كان ينظر إلى العمل نظرة
 غريبة حورتها هذه الفتاة الشبوية الحواس ...
 هاهى ذى تمودأعواماً إلى الوراء .. إلى أيام طفولتها ..
 إنها لا بد مصيبة كل نجاح ... بل كيف بقدر لمن لها
 مثل هذا الروح أن تلقى للفشل !!
 واستطردت روزا ثانية تقول :

— سأغمر وإنك لترانى مقدمة على هذه
 القاصرة ... لن أقبل مساعدة من مخلوق وسيكون
 فى وسى أن أريج وأن أزين مائدة طعامى ببعض
 الأزاهير ... وحتى هذه الأزاهير إن عز على نيلها
 سأكتفى بأن أراها وأن أجتاز الطرقات ... أية
 أحاسيس طاغية غمرتنى بالهدوء عند ما استقر رأى

الشكوى ولكن .. بالنسبة لك .. هل تنوب المودة
 إليه ثانية !!

— أنا !! محال ... هذا مستحيل لن يحدث
 بل إنى أوتر الموت على ذلك ... آه ! لو أنه كان فى
 وسمك أن تتصور أى حياة كنت أحيها !

— حسن ... ولكن انتظري ... فى هذه
 الحالة ما الذى تنوب عمله ؟

لقد فكرت فى هذا قبلاً ... سأقوم بمهمة
 التدريس أو ألتحق بأى عمل ما ... لا تعجب فإن
 الزمن كفيف باقناعك أنى مستطيمة للنجاح فى عملى
 وبأنى سأكون سيدة إذ أريج قوتى بنفسى ...
 لست أطلب إلا نصيحتك وتشجيعك .. أما مسكنى
 فسأجده سريعاً فى أى مكان ولكن فكر من قبلاً ..
 ونهضت من مكانها فى عصبية وراحت تذرع
 الحجرة إلى جانب جورج وهى تحده قائلة :

— إن المنقولات القديمة التى تركها أبوانا
 ستكون من نصيبى ... لا تنظر إلى هكذا حتى أتم
 حديثي ... لست أريد شيئاً ولكنى أريد أن أعيش
 فى هدوء وسلام غير عابثة بكوني فقيرة ، لأن أقل
 شيء سأجد فيه كفايتى ما دمت بعيدة عن ذلك
 الجو ... إن العمل هو غايى وإليه أصبو ... سأغنى
 فقد مر زمن طويل لم تردد فيه شفتاى أى لحن ..
 جورجى ... آه لو تعلم !

— تطرقين أبواب العمل ! إننى فى شك من
 تحقيق ذلك بل إنى أؤكد لك أنك لست مستطيمة
 هذا لأنه شيء لم تمتد نفسك ... ستجدين العمل
 صعباً ... صعباً جداً يا روزى

على الحرب ... الفرار من ذلك الجحيم الذي كنت أعيش فيه، وما أبعد الفرق بينه وبين حياة بدأت الآن أراها طاملاً احتلت خيالي وتفكيرى ... كم أنا سعيدة! — أينما المجنونة الصغيرة، إنه ليس بالأمر السهل ما تفكرين فيه ... سنفكر سوياً ولكن ... عليك أن تريحي الآن جسدك المرهق على ألا تتحدثي في هذا الأمر وانركبي إلى وحدتي فلدى بعض أفكار . وحتى إذا ما طالعنا الصباح الجديد بأضوائه سارحتك برأى في الأمر الذى تنتوين ... اذهبي الآن لتناهى .

كان من اللبث إقناع روزا باحتلال فراش أخيها إذ صممت على قضاء ليلتها نائمة على المقعد الطويل وهي في كامل ملابسها، الأمر الذى لم يجد جورج معه إلا موافقتها، فدثرها بكل ما لديه من غطاء دفىء ثم أطفأ الصباح، فساد الهدوء السكنى إلا من تهديدات صدرها التى كانت كمن تستصرخ السماء مطالبة بالرحمة . وفي دعة فتح جورج النافذة لننعم بالحجرة نسبات هذه الليلة الهادئة من ليالى أكتوبر وقد صفت السماء وراحت النجوم تلمع على صفحتها ... وجرت به الذكريات إلى الماضى أشواطاً بعيدة ... تذكر ليلة ما وهما صغيران : هو وروزا ، وقد وقفا متلاصقين إلى جانب النافذة فى إحدى الليالى الباردة يرقبان للشهب وهي تنتقل من بروجها وقد جعل جسد روزا يهتز إثر عبث رياح الليل به ... إن صوتها للساذج الحنون ما زال يتردد فى سمعه وهي تهمس قائلة :

« عند ما يهوى نجم سائعى على الله أن يحملى

ولها وأن يشد أزرى لأقوم بعمل عظيم » . كان الأب فى تلك الليلة غارقاً فى نوم عميق بينما كان الأخ يستنشر المعظمة فى نفسه فضم الصغيرة إليه ليحتمها فى صدره إذ كانت ترتعد من برد الليل وحى أحلامها ... وهوى نجم من السماء إلى الحديقة وعلا صوت الصغيرة روزا تقول « جورج ... » وأجابها أن نعم وهو يفكر فى نفسه فى ذلك الليل العظيم الذى تتمنى للقيام به ... أينما المخلوقة السكونية النعسة ... أى عمل جليل هذا الذى تحملين به ؟ إنك إذ تحملين بالمجد تنبذين الراحة وتحملين كتنفك الرقيقين من الأتقال والهموم ما لا قبل لهما بحمله .. نعم إنك لست بالقادرة على شيء وحتى لو أردت أنت نمدي يدك لصرعى البؤس لجرتك أيديهم إلى الهاوية .. وسمع وهو فى وقفته تلك همس الصغيرة وهي تناديه ثانية : « جورج » فالتفت إليها قائلاً : « أنصتى إلى ... لقد فكرت فى الأمر فلم أجد من الأعمال ما يليق بك ... إن هناك أعمالاً كثيرة ، ولكنك لست مصيبة منها الريح الذى تنهين » وأجابته وهي فى هدوء :

— سأرضى بالقليل

— كلا ... انتظري لحظة لأنك لا تدرين معنى قولك .. ها أنت ذى ترين أنى سعيد بعملى قانع بمرتبي ، بل وفى وسى أيضاً أن أحصل على عمل آخر « بعد الظهر » ولكنى لا أريد لأنى لا أعرف أى عمل سأمارس ولما أعرض عليك بعض المال — أى مال تمنى ؟

— سأتنازل لك عن نصيبى فى أرباح شركة

بمقدمك ... أنظري إلى السماء الصافية رسمتها لآل
النجوم الدرية ... ألا يبيد صراها إلى خيالك ذكرى
ليلة وقفنا فيها صغيرين إلى جانب نافذة بيتنا نرقب
النجوم وهي تهوى ؟

وحولت وجهها عنه وقد هزته صفرة رهية ،
ونظر إليها فروع ذلك البريق الخفيف الذي انقادت
به عينها وسمعتها تقول :

— كلا ... لست أذكر شيئاً مما تقول ، بل
لا أعرف للآن أى شيء يجعل هذه الذكرى حبيبة
إلى نفسك !

وغلبته للفرحة وهو يقترب منها سميداً وقد
جمل عراة يده على شعرها الأملس وهو يقول :

— دعي الآن حديث المال ... ما كان أبرك

عند ما فكرت في الحضور إلى هنا ... أيتها السموات
كم أما سميد لأن النافذة انشقت من بين المرايا
للمديدة ... هل تتصورين هذا ؟ لم أكن أهم بنير
نفسي حتى لقد برمت بها ... أئذ كرين ؟ أترأك
تذكرين ليلة تساقطت للنجوم فيها ... ما عساها
كانت أسنيتك التي أردت ؟ وهذه الليلة ... أية
أمنية تجول بخاطرك لو هوي نجم .. أى شيء
تطلبين !

— شيء لي ... لا ... وأطلب شيئاً لك ...
حادث تمناء ، أطلب من السماء أن تحققه لك

— ليست لي مطالب ولا رغبات ، وإنما
أشكر الله على ذلك يا روزا .. والآن .. هل فكرت
في شيء ؟ انتظري حتى الفد فاستأجر لك مسكناً
يشرف على مناظر بهجة ... إنك لن ترى من هنا
(٥)

والذي ... إنه مبلغ تحصلين منه على إيراد سنوي
بمبلغ خمسة آلاف جنيه
وهبت البتة سارخة :

— هذا مستحيل
— أوه ! لا تصرخي ... إنها الأرباح فقط
فإذا لم تريد بها قبوسك عدم صرفها

— وأى شيء سيبقى لك أنت بعد ذلك ؟
— لا تهتم بهذا ... كثيراً ما غلبني الخجل
على أمري من العمل « بعد الظاهر » ... والآن ...
هذا المال يضايقي وجوده فهل تريد به أم لا ؟

واقتربت الشابة من شقيقها ثم طوقت عنقه
بذراعيها وقربت من وجهه وجهها التدي بالدموع
وقالت وللفرح غالبها :

— جورج ... لقد قبلت ما عرضته على وهو
شيء ما فكرت فيه ... أقسم لك أنني لم أكن أنتظر
منك أى مساعدة ولكن ما دمت أنت تريد ...

— دعي هذا الآن فليست له الأهمية التي
تظنين ... إن هذا المال يا روزا ليس بذى الأهمية
بالنسبة إلي ... يجب على الرجل أن يعمل ... إلا أنني
أعود لأسألك : وماذا عسى أن يصنع رجل واحد ؟
إن الطوائف والتجوال مهما طال به أمرهما فانه
لا بد عائد مرة أخرى إلى نفسه ... إنه لأشبه
ما يكون بإنسان تحوطه المرايا من كل جهة بحيث
لن يرى إلا صورته التي تنطق بالوحدة ... آه أيتها
المرزقة لو أنك ترفين المعنى الحقيقي من كل هذا ؟
لا . لا يا روزا ، لن أجعلك تتصورين كل هذا الهول
بل أرى أنه من واجبي أن أعترف لك بأنني سعيد

عينها على تقب في البساط ونظرت إلى جورج فجري
دم الحجل في عروقه وهي تسأله :

— وإذا روزا هنا ؟ لقد تركت بيت زوجها
لأنه كما تقول يعتمد إهانتها ... قد يصح وقوع هذا
ولكن ... لا بد لكل شيء من سبب ... لقد كان
لزوجها ملء الحق في كل شيء فعله ... إن روزا ...
لست أدري بم اسمها ... إنها ليست بالصالحة لكي
تكون زوجة ... لا أولاد لها ولا عمل ولذا لا تراها
تهتم إلا ... بنفسها ... إنها مبذرة جعلت المسكين
زوجها يفرق في الدين ثم تركته ... ألم تلاحظ
توبها ؟

— لا ...

— إنك لا تعرف كم يساوي ... إنها تشتري
للغراء بالآلاف الجنيهات لتبيعه ببعض اللثام كي تشتري
بها أحذية ثم تخفي قوائم المطالبة بالدفع فتصلهم
الانذارات ... ألم يملك نبأ هذا ؟

— كلا . فالك تملين أنه لاصلة تربطني بزوجها
— إنه مخلوق عجيب ... يشور عند ما تترك
توبه دون إصلاح وتتغفن هي في زينتها حتى لتبدو
كأحدى الدوقات ... تقشى المجتمعات وتصابح
الرجال و ...

— كفى ...

— ربما تكون قد أفنتك بأنها ستقوم بتدبير
شئون منزلك فجعلتك تترك مسكنك إلى آخر أكثر
سمة ... إنها ليست في حاجة إلى كل هذا لأنها
أحضرتة معها إلى هنا ... ضابطها ... لقد صدر
أمر بنقله إلى براغ ولهذا هربت من بيت زوجها

سوى فناء البيت ، ولكم يحز في النفس ألا تنعم
دواماً برؤية السماء وما على صفحتها من نجوم لامعات
وغادر الحجرة وقد غمرته أحاسيس غريبة بين
صور باسمة للمستقبل وسعادة موانية ، ثم عاد إليها
ثانية فأتى روزا وقد داعب الوسن جفניה وهي تنظر
ناحيته قريرة هادئة ، فراح في نشوة من غبطته
بتمسح المصحف لعله واجد فيها مسكناً جديداً
يرضيها ... وهكذا ظل حتى طالمة الصباح وهو
بأفكاره جد قدير ...

وبدأ جورج حياة جديدة وانتقل إلى مسكن
جديد واعتاد أن يؤدي الكثير من الأعمال الإضافية
التي أرهقته بادي ذي بدء ولكنه اضطر إلى احتياها
إذ كان يسمع صوتاً داخلياً يقول له : « تحمل لأنك
لا تعيش لنفسك فقط بل من أجل غيرك » حقاً
لقد كانت تلك حياة جديدة بالنسبة إليه ...

وحل على جورج في يوم من الأيام ضيف جديد
كان أخته الأخرى تباردا المتزوجة من أحد أصحاب
المامل القريبة من المدينة والذي لم يصب في عمله
نجاحاً كبيراً . وقد اعتادت كلما حضرت إلى براغ
أن تزور جورج فتعص عليه من سيرتها وسيرة
أبنائها الثلاثة الصغار الشيء الكثير حتى لكان
العالم قد أقفر ممن فيه إلا أطفالها ... ولكن زيارتها
هذه كانت غريبة روعته ، فدق قلبه هلمأ ودهبة ،
إلا أن الهدوء داخله سريعاً عند ما علم أن الأولاد
الثلاثة بخير ، وأن الممل يسير من سي إلى أسوأ
وأنها حضرت إلى المدينة لتبحث عمن يقبل أن
يشتره ... ونظرت حوالها نظرة غريبة ثم استقرت

— نأتم أنت يا جورجي ؟ كيف ... ما أكثر
ظلمة هذا المكان ... أين أنت ؟

— كنت مشغولاً ...

— أنصت إلى ... لقد فكرت أن آتيك هنا
مباشرة ولكن فكرت في أنك ربما لم تمد إلى البيت
— لماذا ... وأين تظنني أكون ؟ أظن

أنك أنت لم تكوني في بيتك

— أي مكان تظنني كنت فيه ؟ ما أجل مسكنك
هذا وما أشد فرحي لأنني معك ... تعال ... تعال
واجلس إلى جانبي ... إنني سعيدة ...

وأسند وجهه إلى فرائها الذي تندي برطوبة
الخريف وقال يحدث نفسه « لعلها ذهبت إلى مكان ما
فاشأني أما بذلك ؟ » ، ولكن ذلك لم يكن داعياً
ليدخل الهدوء نفسه إذ جعل قلبه يدق مرعاعاً
فاخاف روزا وقالت له :

— ما الذي حدث ؟

— لا شيء ... لقد زارتني اليوم تيلدا ...

— تيلدا ... وتحدثت عني ؟ ما الذي نقلته
إليك ؟ تعال .. تكلم .. إنها ولا بد سببت لك ..
ما الذي قاله ؟

— لا شيء قلت لك ... بعض أخبار صغيرة

وانفجرت الشابة باكياً موهة وهي تقول :

— المحلقة للقدرة التي ما أحست طوال حياتها
نحوى إلا بالنية. وماذا عساي فاعلة إزاء هذه الظروف
التي تناصبني للمداء ... إنها ولا بد قد أنت عند
ما عرفت ما فعلته من أجل وما قدمته لي من المال،
وإنني أقسم لك أن لو كانت هي وزوجها في بحبوحة من

وحضرت إلى هنا مع عشيقتهما ... إنها دون شك
لم تخبرك بشيء من هذا

— تيلدا ... إنك تكذبين

— حق بنفسك هذا الأمر ... إنك طيب

القلب ولولا حبي لك ما صارحتك ... إن روزا لم
تهتم بك في يوم من الأيام حتى إنها قالت عنك إنك ...

— كفى ... اذهبي ... اذهبي أنوسل إليك
وانركبي أنعم بهدوء أنطلبه

— سأذهب ولكن ... إن المكان هنا قدر
وجدير بك أن تبحث عن آخر أكثر ملاءمة لك ...

إنك لترى الظلمة تسوده ... هل أرسل لك ...

— لا ... لست أريد شيئاً

— حسن ... أنا ذاهبة ... إلى اللقاء يا جورج ...

واعتورت الرعدة بدنه المغموم وجف حلقومه
وحاول دون طائل أن يؤدي أي عمل فلم يجد سوى

أن يحطم القلم ويمزق بعض الأوراق، ثم غادر مسكنه
ذاهباً إلى البيت الذي اتخذ من أحد أقسامه مسكناً

لشقيقته روزا، ولكن مدبرته أخبرت جورج أن
السيدة الصغيرة قد خرجت منذ الصباح ولم تمد وإن

كان لديه خبر فستحمله لها، ولكن الشاب للناثر
تركها دون كلمة وعاد يحرق نفسه كمن يحمل على كتفيه

أنفل الأحمال حتى وصل مسكنه فوجد باباً وجلس
إلى نضده محاولاً أن يعمل ولكن اللساعات مرت

دون أن يفرغ من الصحيفة التي أمامه كما أن الليل
نسيم دون أن يفكر وهو في جلسته أن يوقد المصباح.

وأخيراً دق الجرس دقات مرحة ولم تمض لحظات
حتى كانت روزا أمامه تبسم في حنان وهي تسأله :

الرزق ما فكرت في طرق بابك أو التحدث عنك
كانسان تربطك بها وشيعة الرحم... إنها تريد كل
شيء لها... لأولادها... هؤلاء اللاعين الصنار...
— لا تطرق لهذا الحديث بابا وكفى عن ذكر
هؤلاء جميعاً...

— بل، إنها تريد أن تفسد على كل شيء وأن
تخطم حياتي بل إنها لم تكذب تلم بما أصبته هنا من
هدوء بال وراحة حتى أتت تنفص على عيشي...
صارحني... هل صدقت ما قالته لك؟

— كلا...

— أنا لم أكن أطلب من شيء سوى أن
أستثمر حرتي... أوليس من حق أن أُنشد
للسعادة؟ ما أردت شيئاً ولكن نلت بمض ما كنت
أبني وهامي ذي قد أتت...
— لا تهتمى بذلك.

وقام من مكانه ثم ذهب إلى المصباح فأوقده
وعاد يطيل للنظر إليها وهي مطرقة الوجه وشفاتها
ترتعدان... ما أجملها وأبدع هذا الثوب من
الشباب اللغاث يزيدا روعة! كانت في رداء قشيب
وقفازين صغيرين أفصحاً عن محاسن بديها وجوارب
حريرية... كانت مضطربة الأعصاب فتركت يدها
المرتجفة نمبت بخيوط القميد الكبير... وتهد
ثم قال لها:

— هل تسمعين... إن لدى بعض أعمال
تطلب الانجاز.

— حسن...

وقامت من مكانها وقد تجسست في هيئة تمثال

خائف مشبك الذراعين على صدره وهي تنظر إلى شقيقها
الذي رفع إليها وجهه، ثم تتم ألا تجزعي وعاد
ثانية ليواصل عمله. وكان العمل المستمر هو سلوانه
الوحيدة في غده إذ ظل منكباً على أوراقه من مطلع
النهار إلى غروب الشمس عند ما أته ثانياً روزاً وإذا
نهض ليتبينها طابت منه في خمس أن يستمر في عمله
لأنها ستجلس قبالة... وحاول جورج أن ينفذ
طلبها دون جدوى إذ كان يحس أن عينها النافذتين
المتلثنتين بشئ الأحاسيس والمواطف ما انفكتا
تنظران إليه وتدعان للتطلع إلى وجهه... وجأة
سمعهما تقول:

— لم نأت اليوم لزيارتك وقد انتظرت مقدمك
دون أن أبارح البيت؟

ووضع جانباً القلم ثم التفت إليها... كانت
في ملابس سوداء رشيقة وقد اكتسى وجهها صفرة
وشحوباً... وأجاب:

— يجبل إلى أن الجوا أكثر برودة هذه الليلة

— لا شك أنك تعرف ما آل إليه حال تيلدا.

إن زوجها رجل ساذج تفره اللطواهر ولدا لم يعرف
كيف ينظم أعماله فسادت... كان له عميل سرقة
وغمره بالآمان فسادت العاقبة... إنه على شفا
الافلاس، وهام أولاء مقبلون على مصير غامض وقد
كان جديراً به أن يفكر قبل تورطه في مصير أولاده
— لا أعرف عن هذا أي شيء...

وسكنت روزاً على مضض ولكنها لم نياس ثانية

من مهاجته وآثرت أن ترى آخر سهم في جعبتها
فقال متمة:

فيشرد الأطفال ويصبح أكبرهم شارل الذي يحلم
بالمستقبل شجاعاً منبؤاً... وأنا واثقة أنك ستحضر
لاتقازنا وأنتك سوف تحب الأطفال

لك حبي أنا ... أخذك التهمة : (تيلدا)
حاشية : — «أما ما قلته لك عن روزا
وأكدت أنت لي كذبه فأخبرك أن زوجي سوف
يحضر إلى براغ ومعه حجج دامغة تثبت صدق
ادعاءاتي ... إن روزا لا تستحق حبيبك وعطفك
لأنها لطخت بالمار هاماتنا؛ ولخير لها أن تعود إلى
زوجها، وإنه لصافح عنها كي تترك لأولادي الصغار
لقمة الميش التي بها يتلقون»

أي ضيق هذا الذي يحسه ... إنه من اللبث أن
يستمر في عمله على هذه الصورة من الارتباك الذهني،
وإنه لخير له أن يئادر مسكنه إلى الخارج عساه
يستطيع أن يروح عن نفسه ... واعتزم الذهاب
لزيارة روزا ... وصل إلى مسكنها ولكنه لم يكده
بقدم على دق بابها حتى سمع من الضمير صوتاً نهائياً
فماد أدرأجه متلصصاً، وإذا هو في الطريق أبصر شابة
تنشع بالفراء متعلقة بذراع أحد الضباط فحث
الخطي خلفهما كما شق تسبب النيرة به ، ولكنه
لم يجد لها روزا ... كانت فتاة أخرى فائنة متبرجة
فيهم شطر مسكنه ولم يكده بلججه حتى ألقي روزا
المسكينة مستلقية على المقعد الطويل غارقة في بحر
من مدامها وبمقربة منها سقطت رسالة تيلدا التي
تركها جورج عند مفادته المسكن ... وأحدث
بمقدم أخيها فقالت له متوسلة بصوت خنفت الدموع
نبراته :

— يا شقيق المسكين ... أرايت هذه الحلقة

— ولما ساء حال زوج شقيقتي تيلدا إلى هذا
الحد لجأ إلى زوجي ملتصقاً به ولكنه رفض إذ كيف
سقى وزوجته على مال وقد كان لها منه ثلثائة ألف
أضاعها

— وهل هناك من سر جملك تصارحيني
بما قلت ١٩

— رغبة مني في أن أجعلك تقف على الحقيقة
لأنك طبيب القلب وتحب مساعدة الآخرين ...
— هذا لطف منك

لم يحول عينيه عنها وهي في مكانها وقلبه يدق
مضطرباً بين جنبيه ... لكم كان في شوق إلى سماع
كلمة حنان منها تصارحه فيها بأنها تود أن تبعت
عن عمل ولا تمشي عالة على الآخرين . تقوم بخدمته
المنزلية ... تترك مسكنها الفخم إلى آخر ولكنها
لم تفعل بل راحت تعليل للنظر إلى النافذة ثم بدأت
حديثاً آخر

وفي اليوم التالي تلقى جورج من شقيقته تيلدا
الرسالة التالية :

عزيزي جورج :

لكم أسفت إذ تركتك في مثل حالتك ولكنها
الظروف ... هي أيضاً ما حدا بي إلى الكتابة ثانية
إليك لأصارك أنه قد ساءت حالنا ولن تستقيم
إلا بعد أن ندفع خمسين ألفاً نحن زعميان بأنها لا بد
عائدة ، لأن المستقبل لصانعتنا وبوسى أنا وزوجي
أن نعطيك الضمان الكافي للتسديد في ظرف عامين
لو أنك دفعت ديننا وأنقذتنا من هاوية الفقر ...

إنني أعرف فيك طيبة القلب وهي التي ستدفعك
إلى مساعدتنا ولإساءات الماقبة وعصنا الدهر بتابه

للتعسة التي تريد أن تسرقك علانية؟ لا تعطها شيئاً ولا تصدق كلمة مما قالته ... إنك لا تعرف أى نوع من النساء هي ... ألم تر إلى نهمها كيف تصبها كذباً على؟ ما الذي فعلته لها؟ ما أروع هذه الأفكار ... إنها لا تريد شيئاً سوى المال وعن طريق سلبك . مالك تمتدت الاساءة إلى ...

— إنها أم لأطفال ياروزا .

— تلك هي ذريمتها الأبدية ... لاطالا سرقتنا وما كانت تهتم بسوى المال .. تزوجت من أجل المال . ألا تذكر أن أمانيا وهي طفلة كانت تنحصر في تخيلها للننى واليسار ؟! إنها مخلوقة شرسة ، فهل لك أن تدلني على ذلك للشيطان الذي تقمصها ؟! إنها تريد الآن أن تسرقني فهل أنت يا جورج ممطبا هذه الفرصة ؟! هل ستخلص مني ؟! خير لي أن ألقى الموت غرقاً من أن أعود ثانية

وكان جورج يسممها وهو عنى الرأس ... أجل .. إن هذه الفتاة تقاتل من أجل كل شيء .. تقاتل تيلدا .. بل تقاتله هو نفسه إن حاول أن يسلبها شيئاً ... المال ... ودوت في أذنيه هذه الكلمة وجملته بنصت صرة أخرى إلى روزا وهي تقول :

— لقد كان منحك إياي المال أشبه الأشياء بالمجزات ... إنك أنت الذي وهبني هذا المال وكان جديراً بك ألا تهيه مادام للتفكير في استرداده كان براود خيالك

— إنه مالى ... ملكي انخاص وإني سأفكر في هذا الأمر

تلك كانت أول مرة يهين فيها روزا فلمت ميناها ببريق من الكراهية ولكن صرامته للبادية

أسكتتها فأحنت رأسها وانصرفت وفي اليوم التالي طرق باب زائر ... كان زوج تيلدا للضخم الجنة الذي يشبه الكلب في ملاعبه .. ولقيه جورج متجهماً ولم يقم احتراماً لمقدمه كي يتركه واقفاً ثم سأل في لهجة أمرة :

— ما الذي تريد ؟!

وروع الحديث المفاجئ* الضيف القادم فأرتج عليه وقال :

— أنا ... أنا ... إن تيلدا هي التي أرسلت هذه الأوراق التي طلبتها أنت ...

— أنا ما طلبت شيئاً

— لقد كتبت تيلدا إليك أيها الأخ وشرحت ظروفنا ... فإن كنت تريد مشاركتنا للعمل ، وإنىؤكد لك أن المستقبل ...

وفي هذه اللحظة انفرج الباب في بطاء وأطلت روزا التي روعها أن ترى زوج تيلدا ... وقال جورج لها :

— ماذا حدث ؟

— جورج ...

— لدى أعمال وزائر كثرين ... هل تسمحين ؟! وفي رهبة قدم زوج تيلدا الرسائل وهو يقول :

— وهذه يا سيدى هي الرسائل التي كتبها لنا زوجها وبمض أوراق أخرى ...

وتهاكت التعسة وأسكتت بالباب إذ خانتها التقوى في الوقت الذي سمعت فيه شقيقها يطلب من اللقادم أن يعطيه الرسائل ، فلما أخذها لم يكلف نفسه عناء تصفحها بل أعطاها أخته وهو يقول :

— خذي هذه ... واسمحي لي أن أقول لك

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطنب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقتة ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي الملاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

لا تنهني إلى العصف من أجل المال لأن ذهابك
لا فائدة فيه ... والآن يا سيدي ما هي مهمتك ؟

— المسألة تنحصر في ... رأس المال ...

— اصغ إلى يا سيدي ... لست أدراك كما تدعي

رجل أعمال

— سأعمل جهدي و ...

— كيف أستطيع أن أوليك ثقتي وتكون

أميناً في نظري ؟

— أعدك بذلك ... إن لدينا أطفالاً ...

— كفى ... يمكنك أن تأتيني بعد عام

— بعد عام !

— وداعاً يا سيدي ...

ومادت الأرض تحت قدمي الشمس وغشت عينيه

سحابة من الكدر واستندار مفادراً الحجرية وهو يقول

— وداعاً و ... شكراً لك

.....

وأحس جورج هدوء الوحدة وساده ضعف

حبيب فقام يرتب الأوراق المبعثرة على النضد ثم نادى

مديرة البيت التي ما إن أنت حتى كان قد نسي

ما اعترم قوله لها .. وأرادت السيدة أن تعود ولكنها

سمعت صوته

— قف ... إذا أنت لليوم ... أو في اللند ...

أو في يوم من الأيام شقبةتي روزا تقول لها إني

مستكف و ... إني لا أستطيع أن أقابل أحداً ...

وخرجت السيدة وشملته الوحدة ثانية فاستلقى

على المقعد الطويل وهو ينظر إلى عنكبوت بدأ نسيجه

في ركن الحجرة الواقع فوق رأسه

أراهم حسين العقاد